

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي... د. خلود بنت حمدان و ثريا بنت ناصر

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) من خلال

كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

The image of Omani society according to Al-Maqdisi (380 AH/990 AD) through his book (Ahsan Al-Taqaṣim fi Ma'rifat Al-Aqalim)

Dr. Kholoud bint

د. خلود بنت حمدان الخاطرية

Hamdan Al Khatiri

Thuraya bint Nasser bin

ثريا بنت ناصر بن سالم الهنائية

Salem Al Hana'i

University of

جامعة التقنية والعلوم التطبيقية -

Technology and Applied

مسندم - / سلطنة عُمان

Sciences - Musandam - /

Sultanate of Oman

khulood.h.alkhatari@utas.edu.om

1748J24066@utas.edu.om

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٤/٥/١٢

٢٠٢٤/٤/٢٨

الكلمات المفتاحية: المجتمع العُماني، الحياة الاجتماعية، الحياة الاقتصادية،

المقدسي، عُمان

Keywords: Omani society, social life, economic life, Al-Maqdisi,

Oman

ملخص الدراسة:

تُعد كتب الرحلات واحدة من أبرز المصادر العلمية في الكتابة التاريخية؛ إذ تشكل كتب الرحلات أو ما يسمى بأدب الرحلات قيمة مضافة إلى جانب المصادر الأولية الأخرى في كتابة التاريخ الحضاري للأمم والشعوب؛ لما تحويه من معارف تاريخية حول حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي لربما أغفلتها كتب التاريخ السياسي والعسكري. وعليه؛ تأتي هذه الدراسة لرسم صورة المجتمع العُماني ومظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيه من خلال كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م). وتتكون الدراسة من تقديم وخاتمة وثلاثة مباحث رئيسية، يتناول المبحث الأول التعريف بالمقدسي ومؤلفه، ويخص المبحث الثاني لمناقشة مظاهر الحياة الاقتصادية في عُمان كما صورها المقدسي، في حين يعالج المبحث الأخير طبيعة الحياة الاجتماعية في عُمان ومظاهر حياة الأسرة والعادات والتقاليد، وتتناول الخاتمة أهم النتائج.

Abstract:

Travel books are one of the most prominent scholarly sources in historical writing. Travel books, or so-called travel literature, constitute an added value alongside other primary sources in writing the cultural history of nations and peoples because of the historical knowledge they contain about human social, economic, and cultural life that may have been overlooked or ignored in political and military history books. Accordingly, this study aims to draw an image of Omani society and the aspects of social and economic life in it through the book *Ahsan al-Ta'asim fi Ma'rifat al-Aqilam* by al-Maqdisi, 380 AH/990 AD.

The study consists of three main sections. The first section deals with introducing Al-Maqdisi and his book, the second section is devoted to discussing the economic life aspects in Oman as described by Al-Maqdisi. While the last section deals with the nature of social life in Oman and family life aspects, customs, and traditions. The conclusion section deals with the most important results.

مقدمة:

شكلت كتب الرحالة الجغرافيين للمدن والأقاليم نواة الدراسات الحضارية في جميع جوانب الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، والسياسية، والأنثروبولوجية. ويعد الرحالة المقدسي واحدًا من أشهر الجغرافيين العرب المسلمين الذين نالوا شهرة واسعة في مجال تخصصه فوصف المدن والشعوب وصفًا دقيقًا متناولًا الكثير من الجوانب، مثل: العادات والتقاليد، المأكّل والمشرب، الأسواق، السلع، البيوع والشراء، المذهب، العمران وغيرها.

وعليه، فقد قامت الكثير من الدراسات حول كتابه، مثل دراسة: شاكر محمد الفحام وعنوانها: "المقدسي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء: نحو ٣٣٥ - ٣٨٠هـ/ ٩٤٦ - ٩٩٠م"، ودراسة أمل راجح، وعنوانها: "مدينة عدن في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: أثتوجرافية المكان"، ودراسة إبراهيم سعيد، بعنوان: "إسهامات المقدسي في الجغرافيا والدراسات الإقليمية"، ودراسة فلاح أسود، وعنوانها: "منهج البحث الجغرافي عند المقدسي^(١)".

(١) الفحام، شاكر محمد. المقدسي أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء: نحو ٣٣٥ - ٣٨٠هـ/ ٩٤٦ - ٩٩٠م. مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٧٣، القاهرة، ص ٨٧ - ١٠٨؛ سعيد، إبراهيم أحمد، إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٧ - ١٨، جامعة دمشق، سوريا، ٢٠١٢م؛ أسود، فلاح شاكر، منهج البحث الجغرافي عند المقدسي، مجلة المورد، مج ١٦، ع ١، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٧م.

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي... د. خلود بنت حمدان و ثريا بنت ناصر

وتستند أهمية الدراسة بعنوانها الحالي إلى ثلاثة مرتكزات أساسية تتمثل في: الموضوع حيث تناولت الدراسة عُمان من خلال كتاب المقدسي وهي أول دراسة تتناول إقليم عُمان من خلال مؤلف جغرافي، والزمان حيث القرون الهجرية الأولى، وما يصاحبها من ندرة الدراسات التاريخية العُمانية، والمكان فهو عُمان التي لا تزال مجالاً بكرًا للبحوث التاريخية. وتطرح الدراسة مجموعة من الإشكالات، لعل أهمها: غموض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عُمان خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي؛ ولذا تسعى الدراسة إلى بيان تفاصيل تلك المظاهر كما أوردها المقدسي. ولتحقيق أهداف الورقة البحثية، حرصت الباحثتان على تطبيق المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي؛ وذلك عن طريق استقراء النصوص الواردة عن عُمان عند المقدسي وتحليلها لاستخراج المادة التاريخية بما يتواءم ومباحث الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالمقدسي ومؤلفه

ولد شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البَنَاء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري في مدينة القدس سنة ٣٥٣هـ / ٩٧٩م، وقد عُرف بكتابه الموسوم "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"^(١)؛ الذي يُعد أهم المصادر الجغرافية عند الجغرافيين العرب المسلمين والأجانب^(٢). وينتمي المقدسي إلى بيت المقدس التي اتخذها موطنًا ومسكنًا له، وبها عُرف وشاعت تسميته بالمقدسي، علاوة على ذلك فقد شاع لقبه بالبَنَاء؛ لشهرة جده أبو بكر بالبناء والعمارة والهندسة^(٣)؛ وقد ذكر المقدسي ذلك في كتابه^(٤).

لقد نشأ المقدسي في بيت المقدس، واستقر فيها ما يقارب عشرون سنة كما جاء في كتابه، وقد قال في ذلك: "ومكثت أنا عشرين سنة ببيت المقدس أنام في البيت"^(٥).

؛ راجح، أمل صالح، مدينة عدن في كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: أثنوجرافية المكان. المجلة العربية، مج ٤، ع ٨: ٢٠١٨، ص ٩٦-١٠٨.

(١) الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت: ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، معجم البلدان، ط ٢، ج ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٦٨.

(٢) سعيد، إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية، ص ١٤٤.

(٣) الفحام، المقدسي، أبو عبدالله، ص ٩٠.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٦١-١٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ٣٢٢.

وقد تلقى المقدسي في بيت المقدسي علوم الدين وبرع فيها وبالأخص علوم الفقه، وعلم القراءات على مذهب أبي حنيفة. وكان القاضي أبي الحسن القزويني من أبرز الذين تعلم المقدسي على أيديهم، ويقول في ذلك: "وناظرت على طريقة القاضي أبي الحسين القزويني لأنه أول إمام عليه درست (١)".

وقد ألف المقدسي موسوعته الجغرافية على أسس علمية متبعًا المنهج الوصفي الكلاسيكي في وصف المظاهر الطبيعية والبشرية وفق خطوات البحث العلمي الحديث؛ بدءًا من تحديد موضوع الدراسة وفصولها، وسبب اختياره للموضوع، ثم إلى تقديمه جردًا بأهم المصادر والمراجع التي تخص موضوعه من المصادر التقليدية إلى العمل الميداني الذي اعتمد فيه المقدسي على الخرائط والمقابلات الشخصية والمشاهدة أو المعاينة (٢).

أما الكتاب فيقع في ٥٠٠ صفحة تقريبًا، قسم فيه المقدسي المدن والأقاليم تقسيمًا إداريًا؛ إذ قسم المدن إلى أربعة أقسام، وهي: الأمصار، والقصبات، والمدن، والقرى، ثم قسم الأقاليم إلى أربعة عشر إقليمًا، ستة منها عربية، وثمان أعجمية، وأعطى لكل إقليم كورًا، ولكل كورة قسبة، ولكل قسبة مدناً إلا الجزيرة والمشرق والمغرب، فإنه جعل لكل واحد مصرين، والمصر قسبة كورته وليس كل قسبة مصرًا. وقد قسم الأمصار إلى سبعة عشر قسمًا، وهي: سمرقند، وإيرانشهر، وشهرستان، وأردبيل، وهمذان، والأهواز، وشيراز، والسيرجان، والمنصورة، وزنبد، ومكة، وبغداد والموصل، ودمشق، والفسطاط، والقيروان، وقرطبة.

أما القصبات فهي سبع وسبعون قسبة مثل: صحار التي اعتبرها قسبة عُمان (٣)، والشحر قسبة بلاد المهرة (٤)، فضلًا عن العديد من المدن مثل :

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٢) أسود، منهج البحث الجغرافي عند المقدسي ١٩٨٧م، ص ٦٠-٦٧.

(٣) صحار: قسبة عُمان مما يلي الساحل. وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالأجر والساج، كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها. وهي دهليز الصين وخزانة الشرق. ويعتبر ميناء صحار من أقدم الموانئ التي كان لها دور كبير في تجارة المحيط الهندي والخليج العربي منذ قبل الإسلام حتى القرن السابع الهجري؛ لموقعها الجغرافي الذي يتوسط السفن التجارية القادمة من الشرق والقادمة من الغرب فضلًا عن تجارة الخليج. كما تشير المصادر إلى شهرة سوق صحار كميناء تجاري قبل الإسلام إلى جانب ميناء الأبله وسيراف؛ بالإضافة إلى دور أسرة آل الجلندي في عملية ضبط الضرائب للسفن التجارية القادمة للميناء؛ إذ كانت صحار هي أول مرفأ يقابل الداخل إلى الخليج أو الخارج منه، وبالتالي السماح للسفن التزود بالمؤن للرحلات التجارية الطويلة، وفرصة التجار في التبادل التجاري مع تجار الخليج وشبه الجزيرة العربية، إما عن طريق البيع مباشرة أو بطريقة المقايضة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص ٣٩٣-٣٩٤. ؛ ابن حبيب، محمد البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٩م)، المحبر، ط ١، تحقيق إيلزة ليختن، بيروت: دار الآفاق، د.ت، ص ٢٦٥؛ ويلكنسون، ج، صحار تاريخ وحضارة، سلسلة تراثنا، ع ٢٠، ط ٢، مسقط: وزارة التراث والثقافة، ١٩٩٨، ص ١٤.

(٤) الشحر: بكسر أوله، وسكون ثانيه، قال: الشحرة الشط الضيق، والشحر الشط: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي: هو بين عدن وعمان قد نسب إليه بعض الزواة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٢٧.

إقليم الشراة^(١) الذي قصبته صغ، ومدنها مآب^(٢)، ومعان^(٣) وتبوك^(٤) وأذرح^(٥).

وقد قسم المقدسي الأقاليم إلى أربعة عشر إقليمًا، وهي: إقليم جزيرة العرب، ويضم أربع كور، وهي: الحجاز، واليمن، وعُمان، وهجر، وأربع نواحٍ وهي: الأحقاف، والأشجار، واليامة، والقرح، وأما القصبات في إقليم جزيرة العرب، فهي خمس، وهي: صحر قسبة عُمان، والإحساء قسبة هجر، وصنعاء قسبة نجد، وزيد قسبة تهامة، ومكة قسبة الحجاز، وقد اعتبرها مصر الإقليم بأكمله. أما الإقليم الثاني فهو إقليم العراق وجعله في ست كور وناحية، وهي: الكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، وحلوان وسامراء، إضافة إلى الإقليم الثالث وسماه بإقليم أقور، وقد قسمه على ثلاث كور وهي ديار ربيعة وقصبته الموصل، وديار بكر وقصبته آمد، وديار مضر وقصبته الرقة.

أما الإقليم الرابع فهو إقليم الشام وقد قسمه على ست كور، وهي: قنسرين وقصبته حلب، وحمص وقصبته حمص، ودمشق وقصبته دمشق، والأردن وقصبته طبرية، وفلسطين وقصبته الرملة، والشراة وقصبته صغر. وأما الإقليم الخامس فهو إقليم مصر، وقد قسمه إلى سبع كور، وهي: الحوف وقصبته بلبيس، والريف وقصبته العباسية، والإسكندرية وقصبته الإسكندرية، ومقدونية وقصبته الفسطاط، والصعيد وقصبته أسوان، والجفار وقصبته الفرما، بالإضافة إلى الواحات^(٦).

وأما الإقليم السادس الذي ضمنه المقدسي موسوعته الجغرافية؛ فهو إقليم المغرب الذي جعله مع الأندلس، وقد كور المغرب إلى سبع كور وهي: برقة، وأفريقية، وتاهرت، وسلجماسة، وفاس، والسوس الأقصى، وجزيرة صقلية، وأما الأندلس فلم يكورها؛ لأنه لم يزرها ولم يقف على ناحية من نواحيها. وأما إقليم الشرق فقد ضمنه خمس عشرة كورة، بالإضافة إلى إقليم الديلم الذي جعله في خمس كور، وهي: قومس وقصبته الدمغان، وجرجان وقصبته جرجان، وطبرستان وقصبته آمد، والديلمان، والخزر وقصبته آتل.

وبالنسبة للإقليم التاسع فهو إقليم الرحاب وقد جعله في ثلاث كور وهي: البحيرة، وأرمينية، وأذربيجان، والإقليم العاشر وهو إقليم الجبال وقد جعله المقدسي في ثلاث كور وسبع

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٥٥.

(٢) مآب: وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣١.

(٣) معان: مدينة في طرف بادية الشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٥٣.

(٤) تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤.

(٥) أذرح: بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٩.

(٦) أسود، منهج البحث، ص ٧٠-٧١.

نواح، بالإضافة إلى إقليم خوزستان (الأهواز سابقاً) وقد قسمه في سبع كور، وهي: السوس، ونيسابور، وتستر، وعسكر، والأهواز، ورام هرمز، والدورق، إلى جانب إقليم فارس الذي جعله المقدسي في ست كور وثلاث نواح، إضافة إلى إقليم كرمان وقد جعله في خمس كور. وقد اختتم المقدسي تقسيمه للأقاليم بإقليم السند وقد جعله في خمس كور، وهي: مكران، وطوران، والسند، ويهند، وقنوج والملتان^(١).

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الاقتصادية في عُمان عند المقدسي

يوضح المقدسي في مقدمة كتابه أحد طرق جمعه للمعارف والمعلومات التي احتواها كتابه؛ وهي طريقة الاختلاط مع جميع أطراف المجتمعات التي زارها ومكث معها، ومن ضمن هذه الشرائح التي جالسها المقدسي التجار، بقوله: "فرأيت أن أقصد علماً قد أغفلوه، وانفرد بفن لم يذكروه إلا على الإخلال، وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاز والبحار والبحيرات... ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعناصر العقاقير والآلات ومعادن الحمل والتجارات... ومكاييلهم وأوزانهم ونقودهم وصروفهم..

وما تم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء... مع لزوم التجارة في كل بلد^(٢)". وعليه؛ فإن تعرض المقدسي لمظاهر حياة المجتمعات الاقتصادية كان ضمن أهدافه من تأليفه الكتاب، وينطبق هذا على إقليم عُمان؛ إذ يجد القارئ لكتاب أحسن التقاسيم مجموعة من الإشارات حول هذا الجانب.

يبدأ المقدسي حديثه عن عُمان بذكر أهمية موقعها الجغرافي المتفرد وأثر ذلك بلا شك على الملاحة والتجارة وتسيدها على أكثر الممرات المائية شهرة وأهمية، ليس على المستوى المحلي والإقليمي وإنما العالمي أيضاً؛ إذ تقع على ثلاث ممرات بحرية مفتوحة وهي: الخليج العربي، وبحر عمان، وبحر العرب المفتوح على المحيط الهندي، كما تقع على مضيق هرمز على اعتباره البوابة الشرقية لحركة التجارة والملاحة^(٣).

وفي أهمية موقع عُمان يقول المقدسي واصفاً ذلك: "ثم يتلجلج البحر الى عُمان، و ترى ما ذكر الله أمواجاً كالجبال الراسيات، إلا أنه سليم في الذهاب، مخوف في الرجعة من العطب والغرق جميعاً، ولا بدّ في كل مركب من مقاتلة، ونقاطين، ثم مرسى عمان^(٤)".

(١) أسود، منهج البحث ١٧- ٧٣.

(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١- ٢.

(٣) عثمان، شوقي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ط ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م، ص ٧٦- ٨٠.

(٤) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢.

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي... د. خلود بنت حمدان و ثريا بنت ناصر

ويتابع المقدسي في وصفه الممكنات والعوامل التي أثّرت في ثراء التجارة في عُمان وأسباب قدوم التجار إليها من الشرق والغرب، وينتقل إلى ذكره شهرة أهل عُمان بصناعة المراكب إضافة إلى خبرتهم الملاحية؛ فيقول: "وأكثر صنّاع المراكب وملأحيها من عُمان^(١)". أما الجانب الآخر الذي يضيفه الرحالة المقدسي إلى أهمية إقليم عُمان اقتصاديًا؛ فهو ضمه عُمان إلى قائمة أفضل ثلاثة أقاليم اقتصادية من بينها اليمن ومصر؛ إذ نجده يقول بهذا الخصوص: "ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان أو مصر^(٢)".

وينتقل المقدسي إلى ما هو أبعد في وصف مظاهر الحياة الاقتصادية في عُمان؛ إذ نجده يقترب أكثر من مجتمع عُمان اليومي وحياته في السوق ومعاملاته في البيع والشراء ونوعية الصرف والعملات التي يستخدمها. أما أشهر الأسواق التي أشار إليها المقدسي؛ فهي الشحر في جنوب عُمان؛ إذ نجده يصفها بقوله: "والشحر مدينة على البحر معدن السمك العظيم يحمل إلى عُمان، وعدن، ثم إلى البصرة، وأطراف اليمن^(٣)".

أما السوق الآخر الذي نال شهرة في عُمان؛ فهو سوق صحار^(٤) الذي قال عنه المقدسي: "صحار هي قصبه عُمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجلّ منه عامر أهل حسن طيّب نزه ذو يسار و تجار .. أسواق عجيبة، وبلده ظريفة ممتدة على البحر.. هم في سعه من كل شيء، دهليز الصين، و خزانة الشرق، والعراق، ومغوثه اليمن^(٥)".

وعليه؛ فإننا نستدل من خلال نصي المقدسي حول مديني الشحر، وصحار وأسواقهما الموجودة فيهما، أن سوق الشحر قد اشتهر ببيع السمك الذي كان يُتاجر به داخل عُمان واليمن؛ وذلك لموقعها الجغرافي المطل على بحر العرب وللجوار الجغرافي مع اليمن.

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٧.

(٤) تتطابق روايات الجغرافيين العرب المسلمون حول مدينة صحار مع ما ذكره المقدسي حولها، وإذا ما استثنينا المصادر التاريخية والأثرية التي تناولت صحار قبل ظهور الإسلام، فإننا نستطيع القول إن أقدم إشارة للمدينة في المشهد التاريخي كانت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي على يد ابن خردزابه (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م)؛ الذي اختصر بلاد عُمان في مدينتي: صحار، ودبا؛ لشهرتهما. ووصفها الإصطخري (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بقوله: "عُمان قصبتها صحار، وهي على البحر، وبها متاجر البحر، وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة بعُمان وأكثرها مالاً ولا تكاد تُعرف على شاطئ بحر فارس- بحر عُمان - بجميع بلاد الإسلام أكثر عمارة ومالاً من صحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاثمائة فرسخ..". ولا تختلف رواية أبي زيد السيرافي والمقدسي عن الإصطخري؛ إذ يشير السيرافي (ت: ٣٣٠هـ/٩٤١م) إلى أهمية صحار كميناء تجاري تخرج منه السفن إلى بلاد الهند. راجع: ابن خردزابه، عبيدالله بن عبدالله (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م). المسالك والممالك، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م، ص ٦٠؛ الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) (٢٠٠٤)؛ مسالك والممالك، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٢٥؛ السيرافي، حسن بن يزيد (ت: ٣٣٠هـ/٩٤١م). رحلة السيراف، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٣٥.

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٢.

أما بالنسبة لسوق صحار؛ فإن وصف المقدسي له يبين أنه كان أكثر شهرة من سوق الشحر؛ وذلك لموقع صحار الجغرافي المفتوح على مسطحات مائية، مثل: بحر العرب المتصل بالمحيط الهندي الذي جعل من ساحل عُمان بوابة الشرق التجارية والملاحية ليس فقط على المستوى المحلي والإقليمي وإنما كان دهليز الصين وخزانة المشرقين كما وصفه المقدسي^(١).

والحقيقة أن المقدسي لم يكتفِ بذكر أسواق عُمان؛ وإنما تطرق إلى السلع التي كانت تُباع وتُشتري في أسواقها، وهي سلع كثيرة وعديدة، وفي ذلك يقول: "فإلى عُمان يخرج آلات الصيادلة، والعطر كله، حتى المسك، والزعفران، والبقم^(٢)، والسلج^(٣)، والسماسم^(٤)، والعاج^(٥)، واللؤلؤ، والديباج^(٦)، والجزع^(٧)، واليواقيت^(٨)، والأبنوس^(٩)، والنارجيل، والقند^(١٠)، والاسكندروس^(١١)، والصبر^(١٢)، والحديد، والرصاص، والخيزران^(١٣)، والغضار^(١٤)،

- (١) لمزيد من التفاصيل حول أهمية مدينة صحار التجارية في العصر الإسلامي، راجع: بدوي، سيف الإسلام، مدينة صحار ودورها التاريخي بعُمان". مجلة دراسات حوض النيل، مج ١٣، ٢٠١٩م، ص ٧٤-٨٢؛ المرهوبي، عُمان قبل وبعد الإسلام، ط١، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ١٩٨٠م، ص ٢١-٢٣.
- (٢) البقم: نوع من أنواع الأخشاب المستورد من الهند. انظر: الأزهرى، أحمد بن محمد (ت: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض، ط١، ج٣، دار إحياء التراث، بيروت: ٢٠٠١م، ص ٩٠-٩١.
- (٣) السلج: نوع من أنواع الأخشاب، وقد ذكر المقدسي أن مدينة الحمراء بخراسان مبنية "من حجارة سود ملس وبيض أيضاً، وعلوها الأجر، كثيرة الأجنحة من خشب السلج وهي طبقات مبيضة نظيفة". انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٧١.
- (٤) السماسم: خشب يشبه الأبنوس. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م). لسان العرب. ط٣، ج١٢، دار صادر، بيروت: ١٩٩٣م، ص ٣٠٦.
- (٥) يستخرج العاج من عظام الفيل، ويستخدم في صناعة التحف. انظر: ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م). الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٥٢.
- (٦) الديباج: من أنواع الحرير، ويصنع منه الثياب ومختلف الأقمشة. انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: ٢٩٧هـ / ٨٩٢م). فتوح البلدان. ط١، مكتبة الهلال، بيروت: ١٩٨٨م، ص ٥٥٨.
- (٧) الجزع: هو الخرز الصغير، وقد استخدم لتزيين تيجان الملوك والأمراء. انظر: الحميري، عبد الملك بن هشام (ت: ٢١٣هـ / ٨٢٨م). التيجان في ملوك حمير. ط١، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء: ١٩٥٤م، ص ٢٣٧.
- (٨) اليواقيت: جمع ومفردها ياقوته، وهي من أنواع الأحجار المستخدمة في صناعة المجوهرات، وكانت تستورد من الهند. انظر: الجاحظ، عمرو (ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٨م). التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر النفيسة. تحقيق: حسن التونسي، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٩٤م، ص ١٣.
- (٩) الأبنوس: من أنواع الأخشاب. ابن خردزابه، المسالك والممالك، ص ٦٩.
- (١٠) القند: عسل قصب السكر. انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م). كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دط، ج٧، دار ومكتبة الهلال، دم، دت، ص ٤٥٥.
- (١١) لم أجد له ترجمة.
- (١٢) الصبر: من أنواع الكحل إلى جانب الأثمد والمر. انظر: ابن أنس، مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ / ٧٩٥م). المدونة. ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٤م، ص ٤٦٠.
- (١٣) الخيزران: من أنواع الأشجار، وقد استخدم الصينيون أخشابها في صناعة الورق والأثاث. انظر: الفراهيدي، العين، ج٧، ص ٢١٤.
- (١٤) الغضار: الأواني التي يؤكل فيها، وهو نوع من أنواع الخزف. وتستورد من الصين وقد تأتي مذهبة. انظر: الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. ط١، ج١٣، دار إحياء التراث، بيروت: ١٩٦٥م، ص ٢٤٠.

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي... د. خلود بنت حمدان و ثريا بنت ناصر

والصندل^(١)، والبلور^(٢)، والفلفل، وغير ذلك^(٣)." والجدير بالذكر أن هذه السلع كان بعضها يستورد من أسواق جنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا وأسواق شبه الجزيرة العربية، وتصدر من عُمان إلى الجهات الأخرى من العالم^(٤).

أما بالنسبة للعملة والنقود والمكايل والموازين المستخدمة في أسواق عُمان؛ فإن المقدسي قد أشار إلى عملة الدينار، بقوله: "ودينار عمان ثلاثون غير أنه يوزن^(٥)"، وبالإضافة إلى استعراض المقدسي للعملة المستخدمة في أسواق عُمان؛ فقد أشار إلى بعض الأقاليم التي حملت إليها عُمان سلعها ومنتجاتها، ومنها: البحرين، والبصرة، وسيراف^(٦)، واليمن، والصين، وبلاد فارس^(٧).

المبحث الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية في عُمان عند المقدسي

إن المتتبع لما دونه المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم عن مظاهر الحياة الاجتماعية عند الشعوب والمجتمعات التي زارها، يجد أن المقدسي لم يركز كثيراً على هذا الجانب؛ وإنما كان أكثر تركيزاً على مظاهر الحياة الاقتصادية، ووصفه لأشكال المدن ومبانيها وعمارتها؛ ومع ذلك يجد الباحث مجموعة من الإشارات التي من الممكن أن تشكل خلفية اجتماعية لديه عن بعض هذه الأقاليم وإن كانت من زاوية معينة ومحدودة.

وفيما يخص عُمان في الجانب الاجتماعي؛ يشير المقدسي إلى أن أغلب سكان عُمان يشتغلون بالبحر والتجارة؛ أي صيد السمك والملاحة وصناعة المراكب؛ وقد أشار المقدسي إلى ذلك عندما قال أن أغلب صناعات المراكب وملاحيتها من عُمان؛ وربما دون المقدسي ذلك لأنه زيارته ركزت على المدن الساحلية من عُمان أكثر من مدنها الداخلية^(٨).

(١) الصندل: من أنواع الأخشاب، وأشهرها الصندل الأحمر. انظر: الفراهيدي، العين، ج٧، ص١٧٩.

(٢) البلور: من أنواع الأحجار ويستخدم لأغراض الزينة. انظر: الدنيوري، أبو محمد (ت: ٢٧٦هـ / ٨٨٩م). المعارف، ط١، ج١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة: ١٩٩٢م، ص١٢.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧.

(٤) ابن جعفر، محمد (حي القرن ٣هـ / ٩م) (٢٠١٨)، الجامع لابن جعفر، تحقيق جبر محمد الفضيلات، راجعه أحمد صالح الشيخ، ط٣، ج١ / ٢ / ٣ / ٤ / ٦ / ٧، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١١٧ - ١١٨ / ٣٩٤ / ١٠٩ - ١١٢ / ٢٧٠ / ٣٠، ١٦٠ - ١٦١ / ٤٥ - ٦٦ - ٦٧، ٩٠ - ٩١ / ٦٣ - ٦٥،

(٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩.

(٦) سيراف: مدينة على ساحل بحر فارس. من أشهر الموانئ إلى جانب صحار والأبلة. وصفها الجغرافيين بأنها فرضة الهند وملتقى التجار. راجع: الحموي معجم البلدان، ج٣، ٢٩٤.

(٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص٩٢، ٤٥٤.

(٨) المصدر نفسه، ص١٨، ٣٥.

أما الإشارة الثانية التي أشار المقدسي فيها إلى مجتمع عُمان؛ فهي حين وصف المجتمع الصحاري- صحار- بقوله: "صحار هي قصبه عُمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجلّ منه عامر أهل حسن طيّب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات.. أسواق عجيبة، وبلده ظريفة ممتدة على البحر، دورهم من الأجّر والساج شاهقة نفيسة، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذبة، وقناه حلوة، وهم في سعه من كل شيء، دهليز الصين و خزانة الشرق، والعراق، ومغوثه اليمن^(١)".

ومن خلال النص يتضح أن أهل صحار كانوا يعيشون عيشة يسار وغنى؛ إذ شيّدوا منازلهم من أخشاب الساج وهي مبانٍ شاهقة وتتسم بالثراء في مظهرها الخارجي، إضافة إلى أن توفر باقي المنشآت مثل السوق التي يتواجد فيها البائعون والمشترون والتجار، هذا عدا الجامع الذي وصفه المقدسي بأنه ذو منارة حسنة المظهر وطويلة. من جانب آخر يشير المقدسي في النص إلى همة الإنسان العُماني وقدرته على التكيف مع البيئات؛ إذ استطاع الحصول على المياه العذبة في مدينة مثل صحار وهي مدينة ساحلية عن طريق حفر الآبار وشق القنوات المائية التي تعرف محليًا باسم الأفلاج^(٢).

الخاتمة (نتائج البحث):

أولاً: بيّنت الدراسة أن المقدسي قد وصف الأقاليم التي زارها وصفًا دقيقًا متمعنًا واتضح ذلك في عمق ملاحظاته وإخضاع مادته لصياغة علمية منظمة معتمدًا كما وضح في مقدمة كتابه على الأساس اللغوي والديني والإداري والسياسي في تقسيمه الأقاليم الجغرافية معتمدًا على التقسيم المركزي يبتدأه من الإقليم ثم الكورة ثم القصبه والمدينة والقرية.

ثانيًا: أثبتت الدراسة أن المقدسي قد ركز في وصفه إقليم عُمان على العوامل التي أكسبت عُمان شهرة اقتصادية وخبرة ملاحية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وقد أجملها المقدسي في الموقع الجغرافي، والخبرة الملاحية لأهل عُمان، وبراعتهم في صناعة المراكب البحرية.

(١) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٢) الأفلاج: جمع ومفرده فلج، وتعني قنوات مائية أو سواقي لتجميع المياه المستخرجة عمليًا بجهد الإنسان، أو النابعة طبيعيًا أو المجتمعة في بطون الأودية بفعل الأمطار؛ وذلك بهدف استخدامها في ري المزروعات وفقًا لتقسيم وتوزيع معين. وتنقسم الأفلاج العُمانية حسب مصدر مياهها إلى ثلاثة أنواع، وهي: الأفلاج العينية، والأفلاج الغيلية، والأفلاج الداودية. لمزيد من الإطلاع، راجع: البحري، سالم سعيد. الأفلاج وأهميتها في سلطنة عُمان، ط١، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر، ٢٠٠٧م، ص ٤٨؛ أبو سالم، محمد مسعود، الأفلاج بسلطنة عُمان: دراسة وتحقيق ونشر لبعض الوثائق الخاصة بها، قسم الوثائق والمكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، دبت، ص ٧.

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي... د. خلود بنت حمدان و ثريا بنت ناصر

ثالثاً: أكّد المقدسي على شهرة أسواق عُمان مثل سوق صحر والشحر التي راجت فيها مجموعة واسعة من السلع التجارية كالزعفران، والبقم، والعاج، واللؤلؤ، والديباج، والجزع، واليواقيت، والأبنوس، والنارجيل، والحديد، والرصاص، والخيزران، والصندل، والبُلور، وغيرها.

رابعاً: أشارت الدراسة إلى حجم التبادل التجاري الذي كان بين عُمان ومجموعة من الأسواق والمحطات التجارية التي عرض فيها التجار العُمانيون منتجاتهم وسلعهم، مثل: الصين، وشرق أفريقيا، واليمن، وشبه الجزيرة العربية، والبحرين، والبصرة، وسيراف، وبلاد فارس.

خامساً: خلّصت الدراسة إلى أن أغلب المعارف التاريخية التي استعرضها المقدسي حول إقليم عُمان كانت في الجانب الاقتصادي، عدا إشارتين أخبر فيهما أن أغلب سكان عُمان يشتغلون بالبحر والتجارة، وأن المجتمع الصحاري كان مجتمعاً ثرياً اعتمد على التجارة والزراعة؛ ومن ثمّ حفر الآبار وشق الأفلاج؛ لأغراض الشرب واستصلاح الأراضي الزراعية.

قائمة المصادر والمراجع:

- ❖ ابن أنس، مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ / ٧٩٥م). المدونة. ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٤م.
- ❖ ابن جعفر، محمد (حي القرن ٣هـ / ٩م) (٢٠١٨)، الجامع لابن جعفر، تحقيق جبر محمد الفضيلات، راجعه أحمد صالح الشيخ، ط٣، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ٢٠١٨م.
- ❖ ابن حبيب، محمد البغدادي (ت ٢٤٥هـ / ٥٨٩م)، المحبر، ط١، تحقيق إيلزة ليختن، بيروت: دار الآفاق، د.ت.
- ❖ ابن خردزابه، عبيدالله بن عبدالله (ت: ٢٨٠هـ / ٨٩٣م). المسالك والممالك، ط١، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م.
- ❖ ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٤م). الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- ❖ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ / ١٣١١م). لسان العرب. ط٣، ج١٢، دار صادر، بيروت: ١٩٩٣م.
- ❖ أبو سالم، محمد مسعود، الأفلاج بسلطنة عُمان : دراسة وتحقيق ونشر لبعض الوثائق الخاصة بها، قسم الوثائق والمكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر، د.ت.
- ❖ الأزهرى، أحمد بن محمد (ت: ٣٧٠هـ / ٩٨٠م). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض، ط١، ج٣، دار إحياء التراث، بيروت: ٢٠٠١م.

- ❖ أسود، فلاح شاكر، منهج البحث الجغرافي عند المقدسي، مجلة المورد، مج ١٦، ع ١، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٧م.
- ❖ الأصطخري، إبراهيم بن محمد ت: (٣٤٦هـ/٩٥٧م) (٢٠٠٤)؛ مسالك والممالك، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ❖ البحري، سالم سعيد. الأفلاج وأهميتها في سلطنة عُمان، ط ١، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر، ٢٠٠٧م.
- ❖ بدوي، سيف الإسلام، مدينة صحار ودورها التاريخي بعمان“. مجلة دراسات حوض النيل، مج ١٣، ٢٠١٩م.
- ❖ البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: ٢٩٧هـ / ٨٩٢م). فتوح البلدان. ط ١، مكتبة الهلال، بيروت: ١٩٨٨م.
- ❖ الجاحظ، عمرو (ت: ٢٥٥هـ / ٨٦٨م). التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر النفيسة. تحقيق: حسن التونسي، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٩٤م.
- ❖ الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت: ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، معجم البلدان، ط ٢، ج ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- ❖ الحميري، عبدالمك بن هشام (ت: ٢١٣هـ / ٨٢٨م). التيجان في ملوك حمير. ط ١، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء: ١٩٥٤م.
- ❖ الدنيوري، أبو محمد (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م). المعارف. ط ١، ج ١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة: ١٩٩٢م.
- ❖ الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. ط ١، ج ١٣، دار إحياء التراث، بيروت: ١٩٦٥م.
- ❖ سعيد، إبراهيم أحمد، إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات تاريخية، العدد ١٧-١٨، جامعة دمشق، سوريا، ٢٠١٢م.
- ❖ السيرافي، حسن بن يزيد (ت: ٣٣٠هـ / ٩٤١م). رحلة السيرافي، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ❖ عثمان، شوقي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ط ١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.
- ❖ الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م). كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د. ط، ج ٧، دار ومكتبة الهلال، د. م. د. ت.
- ❖ المرهوبي، عُمان قبل وبعد الإسلام، ط ١، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ١٩٨٠م.

صورة المجتمع العُماني عند المقدسي... د. خلود بنت حمدان و ثريا بنت ناصر

- ❖ المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.
- ❖ ويلكنسون، ج، صحار تاريخ وحضارة ، سلسلة تراثنا، ع ٢٠ ، ط٢، مسقط، وزارة التراث والثقافة، ١٩٩٨م.